وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة جيلالي بونعامة

كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع
الأستاذة: لعماري ليندة

محاضرات السداسي الرابع في مقياس المنهجية

السنة الثانية علم الاجتماع ليسانس

2021-2020

أهم مراحل البحث العلمي

تمهيد:

موضوع هذا السداسي الثاني سيخص أهم مراحل البحث العلمي كتكملة للسداسي الثالث. المحاضرة الأخيرة منه كانت بمثابة حلقة ربط مع هذا السداسي كوننا تطرقنا فيها لأهمية عملية بناء الموضوع التي تهدف أساسا لانتشال الموضوع من الحس المشترك ثم إعادة بنائه و اعطائه **معنى سوسيولوجي و يكون ذلك باتباع بعض من الخطوات أو بالأحرى مراحل متسلسلة، و هي جزء لا يتجزأ من خطوات البحث العلمي.**

فعملية بناء موضوع بحث في علم الاجتماع تمر بمرحلتين أساسيتين: الأولى يتم فيها بناء الاشكالية(من خلال اتباع ثلاثة مراحل) بهدف القيام **بقطيعة ابستمولوجية** مع الأفكار المسبقة، ثم في مرحلة ثانية يتم فيها بناء النموذج التحليلي (بناء المفاهيم و الفرضيات) و الذي سيسمح لنا **ببناء** ما به سوف نفسر به الظاهرة المدروسة.

هذه الخطوات الخمس نجدها في المخطط المشهور الذي وضعه كل من ريمون كيفي و لوك فان كبنهوت في كتابهما Manuel de recherche en Sciences Sociales :

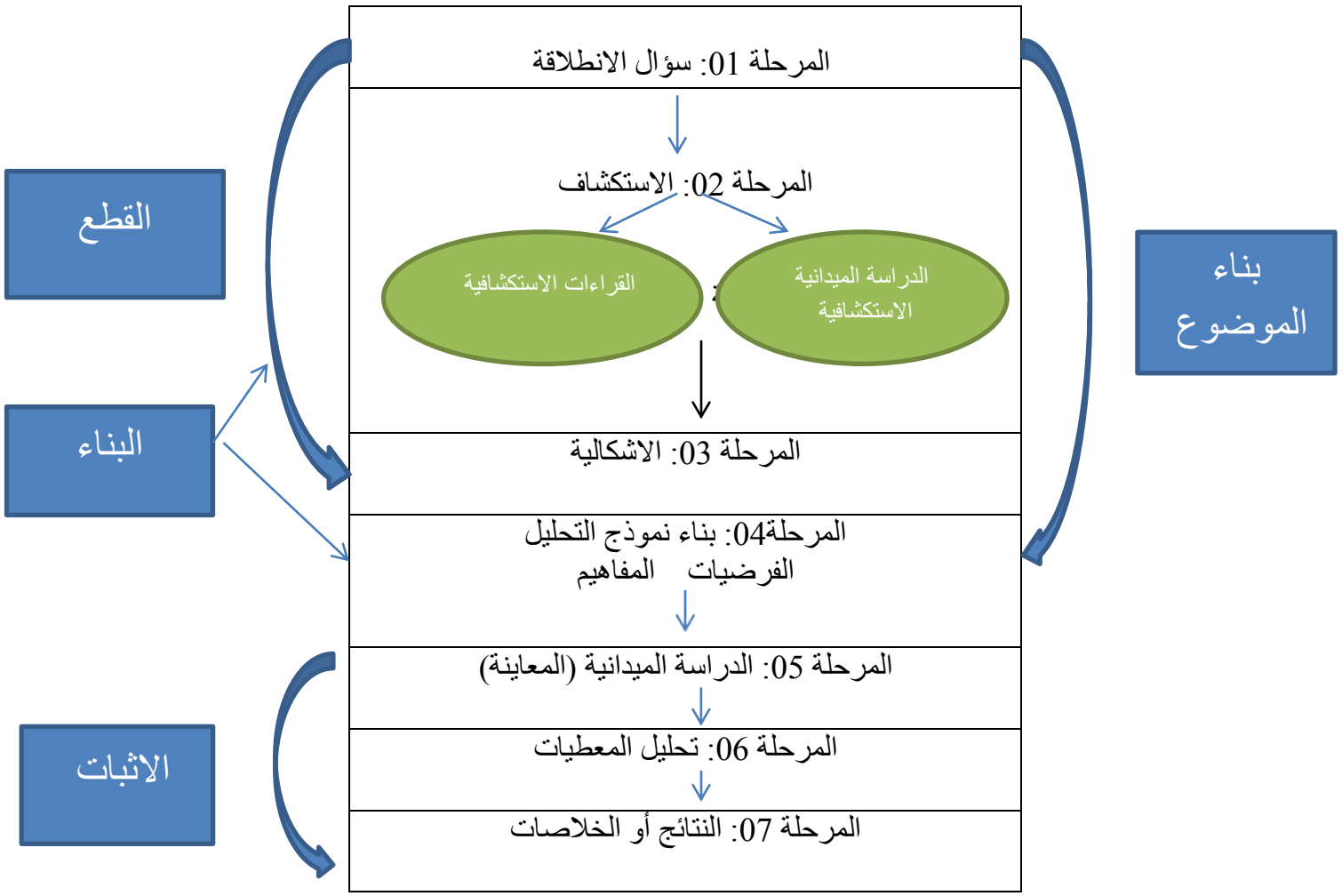

(Quivy, LV.Campenhoudt, Manuel de recherche en sciences sociales,2011 ,P16)

بعد الانتهاء من عملية بناء الموضوع تأتي مرحلة جمع المعطيات أو مرحلة المعاينة كما هي موضحة في مسار البحث و سنتوقف في هذه المرحلة، على أن يجتهد الطالب في البحث عن كيفيات تحليل المعطيات و استخلاص النتائج باعتبار أنه طلب منا عدم تجاوز أربعة محاضرات في هذا السداسي.

المحاضرة 01: بناء الاشكالية (عملية القطع)

الاشكالية:

في تعريفها المبسط، الاشكالية هي بمثابة التصور العام للموضوع أو البصمة الخاصة بكل باحث (الباحث يعرف مع الاشكالية في أية اتجاه يسير بحثه)، فهي بمثابة مقاربة أو آفاق نظرية قررنا تبنينها انطلاقا من قناعتنا أنه يلائم المشكل المطروح من خلال سؤال الانطلاقة، فهي طريقة لمساءلة الظاهرة المدروسة، و بناؤها يكون بالإجابة عن السؤال: كيف سأقوم بمقاربة هذه الظاهرة أو كيف سأعالج هذه الظاهرة؟ بهذا المعنى الاشكالية هي مساءلة نظرية للواقع...**هي فعل ابستمولوجي أو قطيعة مع الخطاب العام و الأحكام القيمية** (سعيد سبعون، حفصة جرادي، 2012، ص95)، فهي تعطي الباحث المفاهيم التي يتجاوز بها المعارف المسبقة و العامية.

مراحل بناؤها:

باختصار، بناء الاشكالية يكون على ثلاثة مراحل متسلسلة و مترابطة فيما بينها كما هي موضحة في مسار البحث:

المرحلة الأولى: طرح سؤال الانطلاقة و الذي سيكون بمثابة نقطة بداية البحث أي أن الباحث سيحاول ترجمة ذلك القلق العلمي و كل التساؤلات حول الظاهرة بسؤال مبدئي يطلق عليه **بسؤال الانطلاقة** و لا يكون هذا الأخير مفيدا الا اذا كان مصاغا بشكل صحيح لذلك لا بد ان تتوفر فيه مجموعة من الشروط هي: **مواصفات الوضوح** (تعني صفات الوضوح بشكل خاص الدقة، الاختصار (الاقتضاب)، **مواصفات قابلية الانجاز** (تعني خاصة صفة الواقعية أو غير الواقعية للعمل المراد انجازه بناءا على التساؤل المبدئي المطروح) **و أخيرا مواصفات الملاءمة (La pertinence)** (أي مدى الحاجة لدراسة الظاهرة أو بشكل آخر أهمية الدراسة على المجتمع).

المرحلة الثانية: الدراسة الاستكشافية هي مكونة من عمليتين متداخلتين فيما بينهما هي القراءات من جهة و المقابلات و الملاحظات الاستكشافية من جهة أخرى أي لا يمكن تصور اجراء دراسة استكشافية بالتركيز على المطالعات (الدراسات السابقة) دون النزول الى الميدان لملاحظة الظاهرة في الواقع، أو القيام بالمطالعات في مرحلة أولى ثم النزول الى الميدان أو العكس. هي مرحلة يشبهها البعض برقصة الفالس لأنها تتميز بحركة الذهاب و الاياب او حركة للأمام و حركة للخلف. تجعل الباحث يتعرف أكثر على موضوع بحثه و هنا يدخل الجهاز التصوري كعنصر أساسي في بلورة الاشكالية و سنرى ذلك لاحقا.

المرحلة الثالثة: الاشكالية ستأخذ شكلها النهائي بعد الانتهاء من الدراسة الاستكشافية أي يعاد صياغتها من منظور جديد يعكس صورة واضحة للظاهرة المدروسة باستخدام المصطلحات العلمية المناسبة لها.

عناصر انتاج المعارف العلمية لبناء الاشكالية

يعتبر البحث العلمي ممارسة علمية يهدف الى انتاج معارف علمية، و لإنتاج هذه الأخيرة لا بد من توفر عنصرين أساسيين هما المعطيات و الجهاز التصوري، فأثناء القيام بالدراسة الاستكشافية يجد الباحث نفسه أمام كم هائل من المعطيات (سواء كانت نظرية أو ميدانية (مقابلات و ملاحظات استكشافية))، فهنا لا بد أن يتحلى بالروح العلمية و لكن أيضا لا بد من استخدام جهازه التصوري بشكل فعال.

- **المعطيات:**

نقصد بها، كل ما هو متاح لنا معرفته سواء تعلق الأمر بالواقع الحسي أو تمثلاته، هذه المعطيات تقدم نفسها في شكل معين و ترتيب محدد لتنتج معنى و دلالة ما دون غيرها، و هنا على الباحث التسلح باليقظة الابستمولوجية، فمن المعروف أن المعطيات هي انتاج فكري تنطوي على عنصرين:

- عنصر علمي تجعل المعرفة علمية تؤدي وظيفة توضيح الرؤية و تقديم المفاهيم و الأدوات اللازمة لتحليل و فهم الأحداث و الظواهر.
- و عنصر إيديولوجي له هدف طمس الحقيقة وتقديم تأويلات تضليلية يقوم بتقديم ما هو مجرد ضن و اعتقاد على انه حقيقة.

اذن لا بد التعامل مع المعطيات خاصة الجاهزة منها بحذر و لا بد من يقظة ابستمولوجية في فرز المعارف العلمية عن العناصر الإيديولوجية.

- **الجهاز التصوري:**

يمكن تشبيه الجهاز التصوري بالآلة التي تقوم بعملية الفرز التصنيف و الترتيب و التحليل و التفسير للمعطيات المجمعة، لأنه غالبا ما نصادف في أحيان كثيرة وقائع أو أحداث أو آراء تظهر للرجل العادي أو غير المتسلح **برؤية نظرية متماسكة** أو آفاق نظرية (و التي أشرنا اليها أعلاه في الاشكالية) على أنها ظواهر مشتتة و منعزلة. مثلا: عندما يتحدث رجل الشارع عن البطالة نجده يرجعها الى عمل المرأة أو يربطها بخروج المرأة للعمل، لكن الواقع مغير تماما، فاذا ما قمنا بدراسة علمية نجد أن نسبة عمل المرأة مقارنة بنسبة عمل الرجال ضعيفة جدا و لكن هناك أسباب أخرى لها تأثير مباشر على البطالة).

دور **الجهاز التصوري** الذي ينطلق من مسلمة أساسية مفادها أن تلك الأحداث المشتتة و المنعزلة ما هي الا قطع لصورة ينبغي تحديد اطارها و وضع العناصر داخلها بحيث تكون في نهاية المطاف الصورة المتكاملة، فالجهاز التصوري للباحث سيقوم بمهمة الاستقراء و الاستنباط في آن واحد، من خلال الذهاب و الاياب بين القراءات الاستطلاعية، و الدراسة الاستكشافية الميدانية- **و هنا تظهر المرحلة الاستكشافية كمرحلة جوهرية ستساعد الباحث في ايجاد معاني و دلالات الأحداث و الظواهر**-، التي لا بد على الباحث ادراجها في اطارها الصحيح، أي وضع الأجزاء في كل يهيكلها.

و هنا يمكن فرز حالتين يوجد أمامهما الباحث:

- هيكلة الأفكار التي تم استقاؤها من الدراسة الاستكشافية الميدانية و التي تبدوا مشتتة في كل متكامل و منسجم، أي محاولة ايجاد العلاقة بين العناصر المتفرقة التي تم جمعها في الميدان.
- اعادة هيكلة الأفكار التي تم اسقاؤها من الدراسات السابقة و ذلك من خلال اعادة النظر في كيفية طرحها للموضوع و كذا العناصر التي تم الأخذ بها لبنائه و علاقتها مع بعضها البعض و منطق سيرورتها و ديناميكيتها (تحديد الاطار النظري للدراسة).

أثناء قيام **الجهاز التصوري للباحث** بهذه العمليات فهو يقوم بتحديد ما اصطلح تسميته **بإشكالية الموضوع**، من خلال الاستبقاء على العناصر الأساسية التي ستمكنه في تفسير و فهم الظاهرة المدروسة (كما هي في الواقع، في تلك الفترة الزمنية، في السياق الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي.....)

و يجب التنويه الى انه أثناء تحديد الاطار النظري، تكون مهمة الجهاز التصوري اكتشاف:

- المفاهيم الأساسية المستعملة.
- النظريات و المقاربات المنهجية المتبناة لمعالجة و دراسة الظاهرة.

لذلك على الباحث أن يقوم بجرد قدر المستطاع كل الدراسات التي تناولت الموضوع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و طرح الأسئلة في نفس الوقت حولها من خلال اتباع النقد البناء لها.

2.1 وظيفة و دلالة الاشكالية:

من خلال تعريفنا للإشكالية على أنها التصور العام للموضوع أو المساءلة النظرية للواقع او الظاهرة التي يريد الباحث دراستها فهي بذلك تمثل **فعل ابستمولوجي يتمثل في القطيعة مع الخطاب العام و الأحكام القيمية**.

الدلالة المعطاة للإشكالية هنا، هو وضع عناصر الموضوع ضمن تصور شامل و منسجم يقوم الباحث نفسه في اقتراحه كاطار يدرج مجمل تلك العناصر فيه بحيث تضفي عليه نوع من التماسك المنطقي: بدءا بتحديد الاطار النظري للموضوع، مرورا بتحديد الأهداف و تحديد الأدوات المستخدمة طيلة عملية البحث، و اخيرا وضع الفرضيات.

الاشكالية تقوم بوظيفة تهيئة الشروط النظرية لإنتاج موضوع بحث علمي (أي تحديد الادوات النظرية الملائمة لدراسة الظاهرة الاجتماعية وفق ما تم ملاحظته في الواقع):

- **تحديد الاطار أو الحدود النظرية للموضوع:** نعني به فك اشتباكه (أي الموضوع) مع عناصر من المواضيع الأخرى و الكفيلة بأن تختلط معه، اي نزع الالتباس المحتمل و أخذ الاحتياط من سوء التأويل.

ان عملية تحديد الموضوع، تحتاج الى تحديد ما به يحدد الموضوع و يقصد بذلك **المفاهيم و المصطلحات** المستعملة، و التي تشكل أدوات تحليل تسمح بالتحكم في الواقع فكريا و عقليا.

الشرح: العلم في جوهره يقوم بمبدأ اختزال العالم المحيط بنا في ترسانة من **المفاهيم** و هذا للتحكم فيه **ذهنيا و فكريا** و انتاج دلالات حوله.
فغالبا ما يجري اختزال العالم الذي يحط بنا في تصورات و تمثلات بهدف تمثيله عبر استخدام المفاهيم، فالمفهوم عبارة "عن تصور ذهني عام و مجرد لظاهرة ما" فعلى سبيل المثال مفهوم الاغتراب يتقدم في صورة ذهنية لا يمكننا ملاحظته في الواقع الملموس، بل هو مجرد بناء و تصور ذهني مجرد يترجم مستويات معينة من الواقع الاجتماعي.
فالعلم لا يقوم فقط على وصف ما هو معطى للعيان بكل جزئياته و انما يقوم على خلقه من جديد بواسطة تنظير معطياته و ربط جزئياته ربطا دلاليا، تعطيه في نهاية المطاف صورة ذهنية معقولة بالكشف عن ميكانيزمات ديناميكية و سيرورتها في اطار التطور التاريخي للمجتمع ككل.

الحاجة الى ضرورة تحديد المصطلحات، أثناء عملية تحديد الموضوع، تنطلق من مسلمة أساسية مفادها أن للمصطلحات مضامين مختلفة حسب وجهة نظر كل باحث، فليس للمصطلح معنى ثابت، حيث لا بد التمييز بين **المعنى القاموسي الثابت** و **المعنى الضمني** الذي يستنبط من السياق و من الاطار النظري الذي يوظفه و يستخدمه. فهناك مفاهيم مثل الأسرة، الطبقة الاجتماعية، الدولة التفاعل الاجتماعي و غيرها من المفاهيم كانت و لا تزال موضوع اعادة تعريف دائمة.

مثال: نجد أن في العديد من الدراسات السوسيولوجية يقع لبس في استخدام مصطلح **الأسرة** ، رغم أنه لا يشير الى **العائلة**
الا أن الكثيرين من الباحثين يستخدمان المصطلحين و كأنهما يشيران الى نفس المعنى.
فتحديد التعريف الخاص للمفهوم، المقصود به المعنى المتضمن له في هذا البحث بالذات، و ترك المصطلحات من غير تحديد هو فتح المجال لسوء الفهم لاحقا.

- **تحديد أدبيات الموضوع:** للإشكالية وظيفة أخرى تتمثل في **تحديد موقع موضوعها** ضمن ما يعرف بأدبيات الموضوع، و المقصود بذلك تحديد الموقف النظري و المنهجي من جملة ما قيل حول موضوع مطروق، فاذا كان الموضوع جديد لم يسبق تناوله فلا مجال للباحث هنا أن يتعرض لما قيل حول الموضوع، و بخلاف ذلك اذا تناول الباحث موضوعا تطرق اليه باحثون آخرون، وجب عليه هنا بيان موقفه مما قيل و كيفية تناول الموضوع، سواء تعلق الأمر بالمحتوى أو طرق تناوله منهجيا، أي القيام بدراسة نقدية لهذه الدراسات.

و هنا نتساءل حول فحوى التطرق لأدبيات الموضوع أو معرفة أدبيات الموضوع؟
انه من غير المنطقي أن يعرف الباحث **ما هو الجديد الذي سوف يقدمه** في هذا الموضوع و الذي تطرق اليه غيره من قبله، ما لم يعرف أين وصل البحث و التفكير فيه من جوانبه النظرية و المنهجية.
الاطلاع بما تركه الباحثون من دراسات، نظريات و مناهج و بنائهم لمفاهيم جديدة يجعل الباحث مؤهلا لمعرفة حدودهم و ميدان قصورهم (أي وجود ثغرات في دراساتهم، عدم توضيح و تفسير جوانب معينة من الظاهرة.....) و بالتالي اتاحة الفرصة للباحث طرح بديل لتجاوز هذه الثغرات من خلال استخدام النقد البناء.

عملية البحث هنا تتخذ طابع الاستئناف لا طابع التدشين مشكلة بذلك عملية امتداد واعي لجهود بحثية سابقة و مكملو لهم. فكل نهاية و حوصلة جهود سابقة تعتبر نقطة انطلاقة لجهود لاحقة.

- **تحديد هدف الدراسة:** تحديد هدف البحث هو المرحلة الدقيقة و الهامة أثناء عملية تحديد الاشكالية، **هي دقيقة** لأنها تستلزم تصورا لما يراد اظهاره و البرهنة عليه و لأنها توجه كافة الجهود اللاحقة، و **هامة** لأنها عملية يتوقف عليها نوع المعطيات المراد جمعها، كما تتوقف عليها المرحلة الثانية من بناء الموضوع و المتمثلة في بناء النموذج التحليلي (الفرضيات)، الذي يقوم على تنظيم البحث و توجيهه.

أهداف البحث، سواء كانت متعلقة بالأفراد أو الهيئات، تتحكم فيها جملة من الاعتبارات الذاتية منها و العلمية و امكانية توافر المعطيات التي يمكن ابراز الفكرة أو تفنيد أفكار و نظريات اعتبرت قاصرة في فهم الواقع أو مضللة.

(مثلا: في العالم الغربي، برز مع نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل كبير تطبيب هائل لكل مظاهر الحياة خاصة ما تعلق بالظاهرة الانجابية، حيث أصبحت الولادات تتم بشكل حصري في فضاءات صحية، أكثر من ذلك أصبح الحمل يتابع طبيا بهدف حماية الام و الجنين من مخاطر الوفيات، لتتحول ظاهرة طبيعية تخص النساء بشكل حصري، الى ظاهرة طبية يتدخل فيها الرجل بعد أن كان وجوده منعدم في الماضي. برزت تيارات فكرية، تعرف بالتيار النسوي، أخذت من دراساتها هدف أساسي يتمثل في اظهار كيف ان التطبيب المتزايد للحمل و الولادة ما هو الا وجه من الهيمنة الذكورية، أفقد الظاهرة الانجابية بعدها الانساني، اكثر من ذلك جعل المرأة غير متحكمة بجسدها و خاضعة للمنطق الطبي، هذا الهدف له بعد إيديولوجي و ذاتي رغم ان الطرح صحيح يجعل الدراسات تأخذ بعد نضالي قد يحجب عناصر مهمة في ظاهرة التطبيب).

من جملة الأهداف التي عادة ما يجري الوصول اليها، اما المساهمة في تعميق المعرفة في موضوع عولج من قبل على نحو سطحي، أو توسيع المعرفة فيه، أو تفنيد تصورات سائدة أو مضللة أو اعادة صياغته من جديد أي تجميع أشياء مبعثرة لبناء تصورات و دلالة جديدة، أو تجريب نظريات جديدة.....الخ.
و لصياغة هدف الدراسة لا بد التقيد بجملة من الشروط، اهمها:

- ضرورة تحديد هدف مصاغ بطريقة تكون قابلة للإنجاز: لأن تحديد هدف أو اهداف طموحة جدا في ظل غياب معطيات أو وجود معطيات غير كافية لتحقيقه قد تشكل عائقا لمواصلة البحث، اذن من الضروري مراعاة بين الهدف و الوسائل الموصلة اليه، و كل خلل في هذه العلاقة يتسبب في ضياع الوقت و الجهد معا.

في الأخير يمكن القول أن بناء الاشكالية ليس بالأمر الهين، لأنه يتطلب من الباحث أن يكون يقضا، متحكما في ذاتيته باعتبار أن الهدف الأساسي من بناء الاشكالية هو استنباط ما هو وراء الظواهر و الكشف عن المشاكل الحقيقية و العوامل المتحكمة فيها و التي لا تظهر مباشرة مثلما هو الحال مع الأفكار الساذجة.
بناء الاشكالية يكون على مراحل متتالية: طرح سؤال الانطلاقة، الدراسة الاستكشافية ثم أخير طرح الاشكالية، هذا الطرح الذي يشمل، تبني نظرية أو ما يعرف بالمقاربة النظرية بالتالي تحديد المصطلحات العلمية، الدراسات السابقة و اخيرا هدف الدراسة.

المحاضرة 02: بناء النموذج التحليلي (الفرضيات)

اذا كانت وظيفة الاشكالية القيام بقطيعة مع كل الأفكار المسبقة، فإن هذه القطيعة تتجسد بموضوعية في مرحلة البناء- بناء النموذج التحليلي- ، أين يستعين الباحث بمقاربة نظرية (مفاهيم علمية) يبني من خلالها مجموعة من الاقتراحات لتفسير و فهم الظاهرة المراد دراستها، و النموذج التحليلي يمثل امتداد طبيعي للإشكالية يشمل على الفرضيات و كذلك المصطلحات بحيث تكون متداخلة فيما بينها و تشكل معا نموذجا لتحليل الظاهرة.
و يكون النموذج التحليلي بمثابة المرحلة التي **ينتقل فيها الموضوع من الجهاز التصوري الى الواقع.**

1.2 الفرضيات:

حتى يصبح سؤال البحث عبارة عن ظاهرة يمكن ملاحظتها في الواقع، يجب تحويل سؤال البحث الى فرضية، وفي حالات استثنائية الى هدف لما يتعذر على الباحث بناء فرضيات مثلما هو الحال في الدراسات الاستكشافية.
انطلاقا من الفرضية نستخرج المفاهيم التي لا بد علينا من تحليلها بغية منحها طابعها الملموس. بذلك نقوم ببناء نموذج تحليل الخاص بالبحث و هو المرحلة الرابعة من مسار البحث التي أشار اليها البحاثان ريمون كيفي و لوك فان كابنهات في كتابهما.
الفرضية في تعريفها العام، هي مشروع اجابة عن السؤال أو الأسئلة المطروحة لتفسير الظاهرة موضوع المعاينة و الملاحظة.

الفرضية بهذا المعنى، تقوم بترشيح سبب يكون وراء ما يجري ملاحظته و كان موضوع تساءل و حيرة، اذن فالفرضية تعتبر أول عملية تضفي طابعا ملموسا على سؤال البحث بالمحاولة الاجابة عنه، غير انه توجد حلات لا يمكن للباحث أن يعطي فرضية أو فرضيات للسؤال المطروح **فعندئذ تعوض الفرضية بهدف البحث.**

تظهر أهمية الفرضية في عملية توحيد جهود البحث و تنسيقها حول نقطة محددة دون غيرها، من خصائصها:

- **التصريح:** هي تصريح يوضح في جملة أو أكثر علاقة قائمة بين **حدين** أو أكثر (أي بين عامل أو أكثر).

(مثال: الطلبة المتغيبون عن المحاضرات هم في غالبيتهم من الطلبة الذي تحصلوا على معدلات ضعيفة في البكالوريا.)

- **التنبؤ:** هي عبارة أيضا عن تنبؤ لما سنكتشفه في الواقع، اي أن الفرضية هي جواب مفترض و معقول للسؤال الذي نطرحه.

(مثال: توجيه الطلبة الى تخصصات غير مرغوبة يؤدي الى الرسوب)

- **و سيلة للتحقق**: هي أيضا وسيلة لتحقق الأمبريقي، و نعني بتحقيق الأمبريقي، العملية التي تتم من خلال معرفة مدى مطابقة التوقعات أو الافتراضات للواقع، اي الظواهر. التحقيق الميداني يتضمن ملاحظة الواقع و الفرضية سوف توجه هذه الملاحظة.

(مثال: توضيح العلاقة بين توجيه الطلبة و الرسوب من خلال ملاحظتنا لها في الواقع).

لا بد الاشارة الى نقطة أساسية و جوهرية يتميز بها النموذج التحليلي، أو بالأحرى يتأثر بها النموذج التحليلي، حيث أنه في حالة تبني **المنهج الكيفي** لدراسة الظاهرة، فان النموذج التحليلي سيأخذ شكلا مغايرا عن الشكل الذي سيأخذه اذا ما تم اختيار **المنهج الكمي** لدراسة الظاهرة.

و يمكن تفسير ذلك أن البحث الكيفي عادة ما يحمل خاصية الريادة أو انه يفحص الظواهر التي يصعب **قياسها** مثلما هو الحال في البحوث الكمية، لذلك فانه لا يستطيع أن يتوقع دائما ما سيتوصل اليه الى اكتشافه لاحقا، اذن فحسب الباحثين تنحصر عملية بناء النموذج التحليلي في الاحاطة بسؤال البحث فقط دون صياغة الفرضية (Massé 1992) و دون تقديم فرضيات قابلة للتعديل (Deslauries 1991) .

فالبحوث الوصفية عامة تقدم الاجابة عن السؤال في صيغة **هدف بحث** و الذي نقصد به تصريح عن غاية للإجابة عن سؤال البحث و يستلزم هو الآخر القيام بتحقيق أمبريقي.

أي أن بناء النموذج التحليلي يفرض نفسه بشكل أساسي في الدراسات الكمية، لأن الوسيلة المنهجية المعتمدة لجمع البيانات في هذا النوع من الدراسات تتمثل في **تقنية الاستمارة**، و التي يتم بناؤها و يرتبط بشكل حصري ببناء النموذج التحليلي.

أ/ حدود الفرضية:

الحديث عن حدود الفرضية، يقودنا الى الحديث عن العناصر المكونة للفرضية، نأخذ مثال: ترتفع نسبة الأمية في المناطق الريفية منها في المناطق الحضرية. هذه الفرضية تحتوي على الخصائص الثلاث الأساسية: انه تصريح يتنبأ و قابل لتحقيق. و لو دققنا اكثر الى الحدود المستعملة أي المفردات فسنلاحظ أنها غير مبهمة، دقيقة، لها معنى و حيادية.

- **حدود غير مبهمة:** ينبغي ان يستعين الباحث بحدود تكون غير مبهمة (مفردات غير مبهمة)، و لا يجب أن يترك أي مجال للشك أثناء القيام بتأويلها، أي ان المعنى المراد من وراء الحدود يفهم بنفس الشكل للجميع، كلمة الأمية تشير بوضوح الى فئة من الناس التي لا تملك أية مستوى تعليمي، كما نفهم أننا نسعى الى المقارنة بين نوعين من المناطق (الريف، الحضر).
- **حدود دقيقة:** ماذا نقصد بحدود دقيقة؟ لنأخذ المثال التالي: مستهلكي السياحة الخارجية هم في غالبيتهم من أسر ذات مدخول يتجاوز مئة الف دينار. في هذا المثال أستخدم كلمة **دخل** بدلا من كلمة **أجر** و هذا تفاديا لعدم الدقة (لأن هناك من يتقاضى أجرة ضعيفة و لكن بالمقابل لديه مدخول متعدد (كراء محل، عمل اضافي....)).

- **حدود دالة:** ينبغي أن تكون الحدود المستعملة ذات معاني، أي أنها تعلمنا عن بعض التصور لهذا الواقع. هذا التصور للواقع ينحدر من نظريات ساهمت في توضيح الفرضية و توجيهها. و عليه فان الفرضية في العلم مستنبطة عادة من نظرية توفر الاطار التفسيري للظواهر التي نريد دراستها. (و هنا نرجع الى الاشكالية التي بنيت و تبنى الباحث نظرية معينة، تبنيه لهذه النظرية يجعله يتبنى المفاهيم الأساسية لهذه النظرية و التي ستصبح حدود للفرضية).
- **حدود حيادية:** ينبغي هنا على الباحث أن يستعمل حدودا حيادية، لا تصاغ على شكل تمنيات و لا على شكل أحكام شخصية حول الواقع.

ب/ أشكال الفرضية:

يمكن صياغة الفرضيات بكيفيات مختلفة، و يمكننا أن نميز بين ثلاثة أشكال أساسية حسب الباحثة Isabelle Lasvergnas 1987)) :

- **الفرضية أحادية المتغير:** هذا النوع من الفرضيات يركز على ظاهرة واحدة بهدف التنبؤ بتطورها و مداها مثلا: الهجرة غير الشرعية في تزايد مستمر في السنوات الأخيرة.

في هذا المثال نجد ان الباحث سيحاول حصر عمله على كلمة الهجرة غير الشرعية و تقييمها و هنا يأخذ البحث **الميزة الوصفية.**

- **الفرضية ثنائية المتغير:** تعتمد الفرضية ثنائية المتغير على عنصرين أساسيين يربط بينهما التنبؤ و هو الشكل المتعود عليه بالنسبة للفرضية العلمية التي تهدف الى **تفسير الظواهر.** ان هذه العلاقة الموجودة بين عنصرين يمكن أن تظهر في شكل تغير مشترك بمعنى ان احدى الظاهرتين تتغير بتغير الظاهرة الأخرى:

مثال: كلما ارتفع الوعي السياسي عند الشباب، ارتفعت نسبة المشاركة في الانتخابات. في هذا المثال نجد هناك ارتباط بين الوعي السياسي و نسبة المشاركة في الانتخابات، و من الناحية الاحصائية يكون الحديث **عن الارتباط** بين هاذين العنصرين.

من جهة أخرى قد تكون العلاقة في الفرضية ثنائية المتغير **علاقة سببية** انطلاقا من تقديم أحد العنصرين و كأنه سبب للآخر، هكذا يكون الأمر لما نجزم أن نجاح الزواج هو نتيجة للتقارب الاجتماعي للزوجين.

- **فرضية متعددة المتغيرات:** تجزم هذه الفرضية بوجود علاقة بين ظواهر متعددة، أي تتجاوز الاثنتين. مثلا قد يصرح أن النساء اللواتي لهن نسبة خصوبة أكثر انخفاضا، هن الأكثر تعلما و الأكثر كفاءة و الأكثر تمدنا.
- **الخصوبة، التعلم، الكفاءة، التمدن** هي كلها حدود مترابطة مع بعضها البعض و يمكن تقديم هذه الحدود الأربعة على غرار الفرضية ثنائية المتغيرات و كأنها **مترابطة** أو ضمن **البعد السببي.** أي ان ظاهرة ما أو أكثر هي سبب لظاهرة أخرى أو أكثر هكذا يمكن الافتراض أن التمدن يرفع من نسبة التعلم لدى النساء و الذي بدوره يكون له أثر في الخصوبة و الكفاءة.

المحاضرة 03: بناء النموذج التحليلي (المفاهيم)

2.2 بناء المفاهيم (التحليل المفهومي): يعتبر التحليل المفهومي، سيرورة تدريجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع، يبدأ هذا التحليل أثناء شروع الباحث في استخراج المفاهيم من فرضية. فالحدود المستعملة في طرح سؤال أو الفرضية او هدف البحث تأخذ صبغة مفاهيم، هذه الأخيرة ما هي في الواقع الا تصورات ذهنية لمجموعة متنوعة من الظواهر التي نريد ملاحظتها.

أ/ بناء المفاهيم:

تعتبر هذه العملية أكثر من مجرد تعريف أو مصطلح تقني، انها بناء مجرد يستهدف تفسير ما هو واقعي. و لهذه الغاية فإنها لا تتناول كافة الجوانب في الواقع المعني، بل تتناول فقط ما يعبر عما هو جوهري في هذا الواقع من وجهة نظر الباحث. (أي يختار الباحث المعاني التي يراها قريبة من الواقع الذي يدرسه).

اذن يتعلق الأمر هنا **بعملية مزدوجة قوامها بناء و انتقاء.**

مثال: اذا ما أخذنا كلمة فقير، فهي تجريد يلخص لنا في الواقع عددا من الأشخاص، لهم ما يكفي من السمات المشتركة و يختلفون بالتالي عن الفئات الأخرى من الاشخاص مما يسهل في تجميهم تحت نفس التسمية.

يقوم بناء المفهوم أولا على تحديد الأبعاد المكونة له و التي يفسر بها أمور الواقع، ثم يتم تشريح كل بعد و تحويله الى مؤشرات أو ظواهر قابلة للملاحظة، في الأخير تأخذ بعض المؤشرات شكل متغيرات من أنواع مختلفة. و من المهم الاشارة الى انه توجد هناك مفاهيم بسيطة و أخرى معقدة حسب الأبعاد و المكونات و المؤشرات كما هو موضح في الشكل:

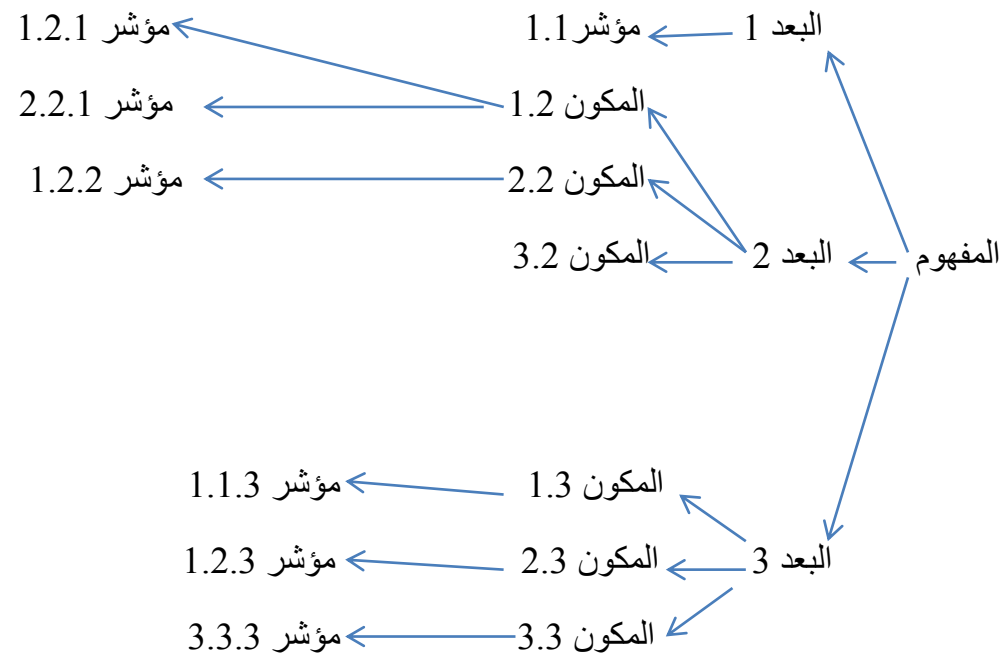

فكلما ارتفعت درجة تجريد المفهوم، كلما تطلب ذلك القيام بعدد أكبر من العمليات التجسيد للوصول الى مستوى الواقع الملحوظ.

لنأخذ مثال توضيحي لهذه العملية التي تجعلنا ننتقل من المستوى التجريدي الى الواقع الملموس من خلال مصطلحين:

مفهوم البكر ← الانتقال من المجرد الى الملموس في هذه الحالة يكون بسيطا (يكفي البحث في كل أسرة عن الطفل الأول الذي أنجبه الزوجان بعد الزواج) أي ترتيب الطفل هو مؤشر لمفهوم البكر و هنا لا نحتاج الى البعد و لا المكون.

مفهوم الرضى في العمل ← فهنا نجد المفهوم له بعد اقتصادي لا بد البحث عن الظواهر التي تعكسه في الواقع من خلال مؤشراته (الراتب، العلاوات، الترقية...)، و ايضا له بعد اجتماعي هو الآخر لا بد البحث عن الظواهر التي تعكسه في الواقع (طبيعة العلاقات بين الزملاء، بمحيط العمل، الادارة، .....الخ). بالتالي فإننا نجد عددا من الوقائع الملموسة تكون مجتمعة تحت لواء هذا المفهوم. ان هذا المجموع المعقد يعطي معنى للمفهوم أثناء تجسيده في الواقع.

- **كيف يتم بناء المفهوم؟**

هناك طريقتان لبناء المفهوم، و كل واحدة منها ستتوافق مع مستوى مختلف من الصياغة المفهومية. الأولى هي استقرائية تتمخض عنها مفاهيم اجرائية معزولة أو مفاهيم عملية، و الثانية استنباطية تولد مفاهيم نسقية.

- **المفهوم الاجرائي المعزول:** هو مفهوم مبني بطريقة تجريبية انطلاقا من المعاينات المباشرة أو معلومات جمعها الغير، أي هي مفاهيم ناشئة عن ملاحظة الواقع و كذا المقابلات و القراءات التي أجريت مرحلة الاستكشاف.
- **المفهوم النسقي:** يرتكز بناء المفاهيم النسقية على منطق العلاقات القائمة بين العناصر التي يتكون منها النسق، فالمفاهيم النسقية تتميز بالتشدد الاستنباطي و التركيبي، فهي لا تستقرأ من التجربة بل تبنى عن طريق التفكير المجرد: كالاستنباط، التماثل و التعارض و العلاقات الضمنية.....الخ و في أغلب الحالات يتصل هذا العمل المجرد باطار فكري أهم و أوسع يدعى مثالا أو نموذجا. اذن فالمفاهيم النسقية مستمدة من النظريات العلمية.

سواء تعلق الأمر بالمفهوم الاجرائي المعزول أو بالمفهوم النسقي، فان البناء يستدعي بالضرورة صياغة الأبعاد و المكونات و المؤشرات، كما يتميزان بدرجة القطع مع الأفكار المسبقة. و للإشارة، فان المفهوم الاجرائي المعزول يقع في منتصف الطريق بين المفهوم النسقي و الأفكار المسبقة.

1. **أبعاد المفهوم:**

انطلاقا من تعريف المفهوم على أنه تصور تجريدي، فان الشروع في تجسيده يتطلب تفكيكه الى أبعاده المختلفة، و عليه يتعلق الأمر هنا بفحص معانيه العميقة و تقبل فكرة أنه يشير جوانب من الواقع يمكن أن تكون متنوعة الى أقصى حد.

ان هذه الأوجه المختلفة من الواقع هي التي تشكل الأبعاد أو ما يسمى بمكونات المفهوم (Lazarsfeld 1965) و **لاستخراج أبعاد مفهوم ما نستعين بالتعريف المؤقت للمفهوم.** مثلا: ان موارد الزوجين تحدد سلطتهما العائلية. هذه الفرضية تقيم علاقة بين مفهومين رئيسيين هما: الموارد و السلطة العائلية.

في هذه الحالة يمكن استخراج عدد من الابعاد لمفهوم موارد الزوجين و ذلك انطلاقا من تعريفنا له و تحديدنا له كمجموع من الامكانيات سواء كانت مادية، فكرية، اجتماعية يتمتع بها كل زوج و التي تميزه في نفس الوقت عن الآخر.

هذه **الصفات الأربعة** من الامكانيات تصبح **أبعادا للمفهوم.**

من خلال المثال الموضح أعلاه، نلاحظ ان التعريف الأولي للمفهوم هو الذي يقود الى هذه الأبعاد، فلو تم تحديد مفهوم الموارد الزوجية خلافا لذلك فان الابعاد تكون هي الاخرى مغايرة.

تعريف البعد: كل ما هو غير ملاحظ و لا يقبل القياس مباشرة، يبقى من صنف الأبعاد التي تمثل المستوى الوسطي بين التصور التجريدي و العام من جهة أي المفهوم، و الواقع الملاحظ من جهة أخرى.

2. مؤشرات بعد المفهوم:

بعد استخلاص من الفرضية حدود أو **مفاهيم** رئيسية، و بعد تعريفها مؤقتا و ابراز جوانب كل مفهوم أو بدقة أكثر **أبعاده** التي يجب الاحتفاظ بها، لا بد لنا الآن ترجمة هذه الابعاد الى سلوكات أو ظواهر يمكن ملاحظتها، وهنا يأتي دور **المؤشر.**

لإيجاد مؤشرات كل بعد محتمل لا بد على الباحث أن يطرح على نفسه في كل مرة السؤال الآتي: ماهي العلامات الملاحظة في الواقع و التي يمكن من خلالها تحديد هذا البعد؟ يكون ذلك بعودته الى معارفه و تجاربه و كذا حدسه.

فالمؤشرات هي تجليات لأبعاد المفهوم قابلة موضوعيا للتحديد و القياس.

الشعر الأبيض، الجلد المجعد، الأسنان السيئة ⟵ كلها مؤشرات للشيخوخة.

أنواع المؤشرات: هناك أنواع مختلفة من المؤشرات، مثلا يمكن حساب الدخل و الساعات اللذين يعتبران مؤشرين ذات التفيئة العددية (Numérique)، أما التمدرس و التطورات التكنولوجية فيتم ترتيبهما فهما اذن مؤشرين ذات التفيئة الترتيبية (Ordinale)، أما الانتماء العرقي و الديني فهما يقيمان تميزات، و عليه فهما مؤشرين ذات التفيئة الاسمية.

معرفة نوع المؤشرات المستخدمة مهم جدا، باعتباره سوف يساعدنا في معرفة طبيعة القياس الذي سيتم تبنيه في كل حالة.

فالمؤشرات تمثل الجانب المرئي أو على الاقل الظاهر لبناءات مجردة، و عليه فهي تبين التجسيد الناجح للفرضية.

3. المتغيرات:

للمتغير عدة تعاريف، يتفق علماء المنهجية في حقيقة أن المتغير يرتبط بالمفهوم، باختصار ينحدر المتغير من المفهوم أو المؤشرات و يجعل بالتالي الظاهرة قابلة للقياس.

أنواع المتغيرات:

عادة ما تقدم الفرضية على أنها علاقة بين متغيرين على الأقل، و هذا ما يميزها عن الجملة المبتذلة. فيمكن أن تجزم مثلا الفرضية أنه كلما ارتفع مستوى تمدرس الأم، كلما ارتفعت مثابرة ابنها على الدراسة.

تمدرس الأم + ⟵ مثابرة الابن على الدراسة.

من خلال هذا المثال الذي يظهر بوضوح العلاقة بين المتغيرين و ان كل واحد منهما لا يحتل نفس المكانة في الفرضية. يقدم أحد المتغيرين و كأنه **السبب**، انه **المتغير المستقل**، بطريقة أخرى هذا الأخير يعتمد عليه في تفسير الثاني الذي يمثل **النتيجة**. و هو ما يسمى **بالمتغير التابع**، أي الناتج عن فعل الأول.

- **المتغير المستقل:** يستخدم المتغير المستقل في المنهج التجريبي و يتم مداولته لقياس التأثير في المتغير التابع. نقوم بانتقاء هذا النوع من المتغيرات انطلاقا من الأسباب المتوقعة للظواهر الملاحظة.

- **المتغير التابع:** ان المتغير التابع، هو ذلك المتغير الذي يجرى عليه الفعل من اجل قياس التغيرات.

- **المتغيرات الوسيطية**: يمكن للواقع الملاحظ أن يكون أكثر تعقيدا من مجرد علاقة سببية بين متغيرين، مما يعني أن متغيرات أخرى، المعروفة بالمتغيرات الوسيطية يمكن ان تتوسط بين المتغيرات المستقلة و التابعة. و عليه يمكن أن تشير الملاحظة الى أن الانتقال من المتغير المستقل الى المتغير التابع لا يتم مباشرة، بل يتطلب ذلك تدخل عامل أخر بين الاثنين.

مثلا: موسيقى ← تركيز ← تعلم

متغير مستقل متغير وسيط متغير تابع

و المتغير الوسيط بدوره يتأثر بالمتغير المستقل مثله مثل المتغير التابع و لمنه يؤثر في المتغير التابع و لا يتأثر به.

و بهذا نكون بنينا نموذج للتحليل سيمح للباحث الانتقال من الجانب التصوري الى الجانب العملي حيث ستخضع الفرضيات للواقع لتأكيدها في المرحلة اللاحقة من البحث العلمي و المتمثلة في مرحلة المعاينة.

المحاضرة 04: مرحلة جمع المعطيات

في هذه المحاضرة، سوف نحاول التطرق لمرحلة أخرى من مراحل البحث العلمي، و المعروفة بمرحلة المعاينة أو مرحلة جمع المعطيات.

فبعد الانتهاء من عملية بناء الموضوع تبدأ مرحلة جمع المعطيات و المعلومات التي تشكل فيما بعد اللبنات التي بواسطتها يتم بناء الموضوع بصورة مجسدة (أي بصورة ملموسة). و يتم عادة جمع المعطيات عبر ما يعرف بالبحث الميداني و الوثائقي.

و يمكن تصنيف المعطيات بوجه عام الى نوعين :

·معلومات جاهزة: و نقصد بها تلك المعلومات التي نجدها في الوثائق سواء كانت مكتوبة أو غير مكتوبة (مسجلة، متلفزة، مصورة، مرسومة، صوتية....). هذه المعطيات الجاهزة، هي معطيات موظفة و مستخدمة بكيفية ما لتدل على دلالة ما، و حسب التصور الذي وجهها تبعا لأهداف التي رسمت لها، و بناء فرضيات محددة سواء كانت صريحة أو ضمنية.

·معطيات منتجة: نقصد بها تلك المعلومات المولدة من البحث الميداني و التي يحصل عليها الباحث عبر استخدام تقنيات لذلك مثل الاستمارة بأنواعها، المقابلة بأنواعها، و كذا الملاحظة أيضا بأنواعها. هذه التقنيات معروفة

بتقنيات البحث الميداني. هذه المعطيات هي الاخرى جرى اختيارها من مجموع المعطيات و المعلومات الاخرى وفقا لأهداف البحث و فرضياته .

.1مفهوم البحث الميداني :

يعد البحث الميداني احدى الأدوات التي تستخدمها العلوم الاجتماعية بهدف استقصاء المعطيات اللازمة لبناء الموضوع و التحقق من عناصر الاشكالية العامة المحددة سلفا. و كتعريف أولي فان اجراء بحث ميداني يعني مساءلة عدد معين من الأفراد بهدف الحصول على المعلومات اللازمة و التي سوف تساعدنا من التحقق من الاشكالية (غالبا ما تكون المساءلة مرفوقة بتسجيل ملاحظات مباشرة)، و ذلك من خلال خطاباتهم التي تتعلق عادة بوضعهم و آرائهم حول وضع معين. و يجب أن ننوه الى أن اجراءات البحث الميداني لا يحدث في فراغ اجتماعي الذي يضمن له الموضوعية المتوخاة، فالبحث يجري في وضعية خاصة من التفاعل الاجتماعي، و هي وضعية مهيكلة و منظمة و مؤطرة.

و من شأن وجود الوضعية على هذا الحال أن يكون لها تأثير خفي أو ظاهر على طبيعة و نوعية المعلومات و الآراء المعبر عنها من قبل المستجوب.

عندما نتحدث عن الوضعية، فهنا نتحدث عن الظروف المحيطة بالباحث و المبحوث معا أثناء عملية التفاعل بينهما أي أثناء اجراء المقابلة أو أثناء تواجد الباحث في الميدان و تسجيل ملاحظات مباشرة.

)مثال: لنفترض أن الباحث يقوم بدراسة حول الاتصال الرسمي داخل المؤسسة، فميدان الدراسة سيكون حتما فضاء رسمي، و تواجده هناك يتطلب الحصول على موافقة المدير. لنفترض أنه بعد اجراء دراسة استكشافية أولى استطاع الباحث أن يكتسب ثقة المستخدمين، و الذي يتطلب عمل كبير مرهون بمدى التزامه بالروح العلمية (العودة الى المحاضرات السابقة)، و كذلك التزامه بالتواجد اليومي داخل المؤسسة، اذن هنا الوضعية ستكون ملائمة للباحث ليتحصل على المعلومات التي يريدها لأن المبحوث سيجد نفسه في حالة استرخاء و يتصرف على سجيته كما ان خطابه سيكون ثري و قريب من الواقع. على عكس مثلا لو أن الباحث اختار يوما تحصل فيه المستخدمين على تعليمة رسمية تفرض عليهم الامتثال لقواعد تنظيم العمل، فهنا الوضعية ستتغير و ستأثر على طبيعة المعلومات التي سيتحصل عليها الباحث، سواء من خلال خطاب هؤلاء أو حتى من خلال تصرفاتهم و لكن تبقى المعلومات التي يتحصل عليها الباحث مهمة في دراسته لأنه سيتمكن من ملاحظة عدة وضعيات لتأثير الاتصال الرسمي على المستخدمين(.

ان المواد (يعني المعلومات) المتحصل عليها في هذه الوضعية هي التي ستكون موضوع معالجة و تحليل لاحق، ما هي الا مواد لفظية ، الأمر الذي يطرح مسألة المعنى le sens و يتجلى ذلك في صور مختلفة من التأويل و بالتالي يطرح مسألة الادراك الصحيح للمعاني المستخلصة.

يجب الاشارة الى نقطة أساسية كثيرا ما يغفل عنها الكثيرون، خاصة من هم في مرحلة اكتساب الروح العلمية و مختلف الاستعدادات الذهنية، ان مرحلة المعاينة أو بالأحرى مرحلة البحث الميداني هي تكملة للدراسة الاستكشافية خاصة البحوث الكيفية. فالدراسة الاستكشافية تكون كمرحلة تمهيدية تهدف التعرف على معطيات حقل البحث و أوضاعه.

يقسم البحث الميداني الى مجموعة من الخطوات التي لا بد من اتباعها و تتمثل في: تحديد العينة، تحضير الأدوات التقنية لجمع المعطيات و أخيرا معالجة و تحليل هذه المعطيات.

2.1مراحل البحث الميداني :

تبدأ المرحلة العملية Phase opérationnelle لإنجاز البحث بمجرد تحديد الجوانب النظرية للموضوع.

1.2.1 تكوين عينة البحث :

تعرف العينة كمجموعة صغيرة من الأفراد تنتمي الى مجال واسع من القطاع المدروس مختارة بكيفية تمكن من التأكد على نفس الخصائص التي جرت ملاحظتها فيها، موجودة بنفس النسبة في مجموع السكان الذين اقتطعت منهم هذه العينة. و بتعبير آخر: دراسة عينة تعني دراسة جزء من الكل. على أن هذا الجزء له من الخصائص ما للكل. و يرتكز مفهوم العينة على مسلمة أساسية

هي : أن معرفة الجزء يخبرنا عن الكل، و هي مسلمة منهجية مستعارة من منهج العلوم الطبيعية .

مثلا: لمعرفة نسبة السكر في دم الانسان، لا حاجة للباحث أن يحلل كل الدم الموجود عند الشخص يكفي أن يأخذ عينة صغيرة منه .

غير أنه في العلوم الاجتماعية العينة ليست لها هذه الدرجة من اليقين، الا أن كل من العلوم الطبيعية و العلوم الاجتماعية يتفقان على أنه من المستحيل اختبار الكل، ان كان كبيرا و أنه توجد امكانية معرفته عبر جزء منه.

و تخضع العينة الى شروط محددة متعلقة باختصار بالتمثيلية و التعميم، و التعميم مرتبط ارتباط شديد بالشرط الاول المتمثل في التمثيلية.

عملية اختيار العينة تطرح نوعين من الأسئلة، من نختار؟ و كيف؟

ان تحديد هوية العينة و نوعيتها و خصائصها يستلزم اليقظة النظرية في تدقيق طابعها المتجانس بقدر الامكان: يمكن ان تكون العينة مجموعة من العمال، الشباب او سكان حي معين ...و عليه فلا بد من تحديد ما يفهم من هذه المجموعات الاجتماعية .

-اذا كان الامر يتعلق بالشباب يجب تحديد مقاييس لما يفهم من الشباب (كتحديد السن الأقصى و الأدنى، او تحديد علاقتهم بالعمل: عاطل عن العمل، عامل، في أي نشاط(....

-يحرص أثناء اختيار العينة، على أن توجد في أفرادها نفس الخصائص لمجموع السكان أي أن يكون توزيع متغيرات السن، الجنس، الفئة الاجتماعية، المهنية...متماثلة.

-و يحرص أن تكون العينة المحتفظ بها ممثلة للبقية.

في البحوث الكيفية، غالبا ما يطرح اشكال في استخدام مصطلح العينة، لأنه في بعض الدراسات يصعب اختيار العينة بالمفهوم الذي تشير اليه اصطلاحا، و تأخذ تسمية اخرى تتمثل في مجتمع الدراسة، خاصة في الدراسات الكيفية التي لا تبحث عن التمثيل و لكن تركز على استخلاص المعاني.

أما عن أشكال العينة فهي كثيرة و متنوعة، تتحدد هي الأخرى حسب طبيعة الدراسة و الاهداف المسطرة. فهناك العينة من صنف الاحتمالية التي ترتكز على مبدأ لكل وحدة احصائية مكونة لمجتمع البحث فرصة متساوية للظهور في العينة، و هي تعتمد على نظرية الاحتمالات ونجدها على شكل : العينة العشوائية البسيطة، العينة المنتظمة، العينة الطبقية، العينة العنقودية، العينة المجالية.

و هناك العينة من صنف غير الاحتمالية و هي على عكس الأولى يكون الاختيار غير احتمالي و لكن بالعكس يكون الاختيار موجه و مقصود و لا يوجد احتمال او صدفة في التساوي لكل عنصر للظهور في العينة بل

يعرف الباحث الى حد ما من هي العناصر التي سيتم اختيارها في العينة و من أشكالها : العينة الحصصية، العينة العرضية، العينة التراكمية المعروفة بكرة الثلج.

2.2.1 تقنيات البحث الميداني

لقد وضعت العلوم الاجتماعية، على غرار العلوم الطبيعية و سائل من أجل تفحص الواقع، فبمجرد تحديد اشكالية البحث يجب الانتقال الى تنظيم عملية جمع المعطيات الضرورية للتحقق منها (الاشكالية .(

تقنيات البحث الميداني في العلوم الاجتماعية تشمل على الملاحظة، المقابلة و الاستمارة و المعروفة أيضا بالاستبيان، و يتوقف قرار تبني هذه التقنية دون الأخرى على التقييم الموضوعي لإمكانيات التقنية نفسها و حدودها و ذلك انطلاقا من تحديدنا لإشكالية البحث، و عليه فان معرفة مميزات و كذلك مزايا مختلف تقنيات البحث و عيوبها يعتبر أمرا اساسيا.

أ/ الملاحظة :

الملاحظة تعد تقنية مباشرة للتقصي، تستعمل عادة في مشاهدة مجموعة ما قد تكون جماعات فردية، أسرة، قرية، مدينة.....بصفة مباشرة و ذلك بهدف أخذ معلومات كيفية، اي معلومات نوعية من أجل فهم المواقف و السلوكات. فالملاحظة هي احدى الوسائل المهمة في جمع البيانات و هناك قول شائع بأن العلم يبدأ بالملاحظة و يعود في نهاية ليثبت صحتها.

تبرز أهمية هذه الوسيلة في الدراسات السوسيولوجية و الأنتربولوجية و النفسية. و يقول العالم دي قرو " ان الملاحظة في البحوث تستخدم لجمع البيانات التي يصعب الحصول عليها عن طريق المقابلة و الاستمارة"، و نجد استخدام البحوث في البحوث الاستكشافية و الوصفية و التجريبية.

الملاحظة تأخذ أشكالا مختلفة: ملاحظة بالمشاركة، الملاحظة المباشرة، الملاحظة غير المباشرة.

ب/ المقابلة:

يعتمد البحث الكيفي على المقابلة كتقنية مناسبة من خلال تحقيقها لأهداف المنهج الكيفي المتمثلة في الفهم و الادراك. في المراحل الأولى من البحث، تساعد المقابلة على الكشف عن الأبعاد العامة للمشكلة و في يناء الفروض، كما تساعد في القاء الضوء على الأطر المرجعية لاستجابة أفراد المجتمع.

تعريفها: المقابلة كأداة للبحث هي حوار لفظي وجها لوجه بين باحث قائم بالمقابلة و بين شخص آخر أو مجموعة من أشخاص آخرين. و عن طريق ذلك يحاول القائم بالمقابلة الحصول على المعلومات التي تعبر عن الآراء، أو الاتجاهات، أو الادراكات، او المشاعر او الدوافع أو السلوك في الماضي أو في الحاضر.

ان استكشاف الواقع المعاش يتطلب جمع خطابات عن طريق المقابلة و هذا لتتضح أفكار الفاعلين المتعلقة بسلوكياتهم الاجتماعية و حالاتهم العقلية.

تعتمد المقابلة على عملية الاتصال اللغوي و ذلك بهدف جمع معطيات لها علاقة مع الهدف المرسوم في البحث. أي أنها موقف للتفاعل الاجتماعي المباشر بين الباحث و المبحوث.

ما يميز المقابلة عن غيرها من أدوات البحث السوسيولوجي، انها أكثر مرونة و انها تيسر لدرجة أكبر ملاحظة المبحوث و التعمق في فهم الموقف الكلي الذي يستجيب فيه للمقابلة، كما يمكن للقائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوث

ما قد يكون غامضا من السؤال، و أن يكشف عن التناقض في الاجابات، و أن يرجع للمبحوث لتفسير هذا التناقض. عموما المقابلة تتكون من ثلاثة عناصر أساسية :

- القائم بالمقابلة ⟵ أو المعروف بالباحث(L'enquêteur)
- المبحوث ⟵ l'interviewé
- موقف المقابلة: عملية اجتماعية تجري بين الباحث و المبحوث (عملية تفاعل دون حدوث تأثير خاصة على الباحث الذي لا بد أن يبقى حياديا، فطنا، منتبها لكلام المبحوث.)

هناك ارتباط وثيق بين هذه العناصر الثلاثة، على نحو يؤثر في النتائج العامة للمقابلة، و يتوقف نجاح المقابلة الى حد كبير على مهارة القائم بها (الباحث)، و مدى فهمه لدوافع السلوك، و درجة وعيه و ادراكه لمختلف العوامل في موقف المحيط به، و التي يمكن أن تدفع المبحوث الى الوقوف موقفا سلبيا من الباحث، أو اعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق و الثبات.

تحتاج المقابلة الى مهارة و خبرة و تدريب، يكتسبها الباحث عن طريق الممارسة العلمية و النزول الى الميدان، و الاحتكاك بأفراد مجتمع البحث، و نجد أن هناك بعض الارشادات مستخلصة من خبرات باحثين في الميدان تساعد الباحث في قيامه بالمقابلة، منها:

- ان نجاح المقابلة و دقة الحصول على البيانات المطلوبة يتوقفان الى حد كبير على مدى فهم الباحث للأشخاص الذين يواجههم و قدرته على تطوير **العلاقة** بينه و بين المبحوثين.
(شرح: الباحث يسعى الى استثارة المبحوث للإجابة، و لا شك أن درجة الاستعداد للاستجابة يختلف باختلاف **الدور الذي يقوم به الباحث** و باختلاف المجتمع الذي يجرى فيه البحث و نوع الثقافة السائدة، كل هذه العناصر يجب أن يأخذها الباحث في الحسبان، لأن المبحوث يجد نفسه أمام شخص غريب لا تربطه بالباحث أية صلة سابقة و هو مطالب بالإدلاء بمعلومات عن حياته الخاصة، أفكاره، توجهاته.....) لذلك على الباحث أن يعمل على كسب ثقة المبحوث (غالبا ما يبدأ هذا العمل في الدراسة الاستكشافية، كما تم شرحه في المحاضرات السابقة)، كما أن المقابلة لا بد أن تبدأ بمقدمة مختصرة يشرح الغرض من المقابلة، و يبين أن البيانات المطلوبة لن تستخدم الا لغرض البحث العلمي.
- على الباحث أن يكون مستعدا للمقابلة حتى يحصل على الفائدة منها و ذلك عن طريق المناقشة و الحوار، فلى تلقى الأسئلة بطريقة جامدة املائية. (هنا الحديث عن دليل المقابلة و تحضيره مسبقا، كحفظ الأسئلة)، من الأفضل أن يقرأ الباحث الأسئلة جيدا (يحفظها) و يتدرب عليها و معرفة بدقة ترتيبها المنطقي، فيبدأ بالبسيط و يتدرج الى أن يصل الى مستويات أعمق فأعمق (النزول من العام الى الخاص.) .
- يستحسن أثناء المقابلة، تسجيلها على مسجلة أو تدوين الاجابات مباشرة بعد المقابلة و هذا تفاديا لنسيان بعض المعلومات و يتسبب ذلك في تشويه مجرى المقابلة .

أنواعها :

يمكن تصنيف المقابلات على أسس مختلفة، منها على أساس الدور الذي يقوم به الباحث مثل التوجيه أو عدم التدخل، فكلما تكثر الأوامر تعني أن المقابلة موجهة، و كلما قلت هذه الاوامر تكون غير موجهة أو نصف موجهة. على ان اكثر المقابلات استخداما هي :

المقابلة الحرة (المعمقة)، المقابلة الموجهة، المقابلة نصف موجهة.

-**المقابلة الحرة:** هي نوع من المقابلة تتميز بالمرونة المطلقة، فلا تحدد فيها الأسئلة التي ستوجه للمبحوث، و يكتفي الباحث بطرح سؤال عام و يترك قدر كبير من الحرية للمبحوث للإفصاح عن آرائه و اتجاهاته و انفعالاته و مشاعره و رغباته و يكون تدخل الباحث في هذا النوع من المقابلات ضعيف جدا على أن يقوم باسترسال المبحوث من خلال اعادة بعض من أجوبته حتى يتعمق أكثر في أفكاره كأن يكون الباحث: قلت أن اهتمامك قليل بالسياسة رغم تصفحك للجرائد يوميا.....

-**المقابلة شبه أو نصف موجهة:** هي نوع وسيط بين المقابلة الحرة و المقابلة الموجهة، فهي ليست حرة تماما و لا محصورة بعدد كبير من الأسئلة الدقيقة، بشكل عام تكون لدى الباحث سلسلة من الأسئلة المفتوحة نسبيا. خلال المقابلة يقوم الباحث بنوعين من التدخلات، الأول يخص الاوامر الاساسية التي توضح عناصر الموضوع الكبرى، اما الثانية هي علائقية مثل الاستماع الجيد للمبحوث، الانتباه و اعكاء الاهمية للمعلومات المقدمة من طرف المبحوث كاسترساله بالقول مثلا : اذن العمل هنا في المؤسسة فتح لك مجال لتوسيع خبراتك.

-**المقابلة الموجهة:** يتحدد هنا شكل و مضمون المقابلة بقدر كبير قبل القيام بها، فتوضع قائمة من الأسئلة يلتزم بها الباحث مع كل المبحوثين، و توجه الأسئلة بنفس العبارات و بنفس الترتيب لجميعهم و يهدف تقنين الأسئلة الى أن الأفراد يستجيبون لنفس المثير و المنبه. أي الباحث يعرف جيدا ما يريده من معلومات. و غالبا ما يستخدم هذا النوع من المقابلات في الدراسات الكيفية و الكمية معا، أو الدراسات الكيفية التي هي بصدد أن تتحول لاحقا الى دراسة كيفية اذا ما أراد باحث آخر دراستها .

ج/ الاستمارة :

تعتبر استمارة البحث أو الاستبيان (le questionnaire) من أكثر أدوات جمع البيانات استخداما و شيوعا في البحوث الاجتماعية، و يرجع ذلك الى خصائص هذه الأداة، سواء لاختصار الجهد أو التكلفة أو سهولة معالجة بياناتها بالطرق الاحصائية، فهي من التقنيات الأساسية للبحوث الكمية، غير أن السهولة التي توفرها ه=ه التقنية و التي هي ظاهرة بشكل واضح تخفي و راءها عددا كبيرا من الصعوبات المنهجية و التي يتعين على الباحث مواجهتها حتى يتمكن من صياغة استمارة بحث بصورة تحقق أهداف الدراسة و تمكنه من الاجابة على التساؤلات الأساسية للبحث، و يكون دليل الاستمارة كنتيجة للعمل المنجز طوال فترة بناء النموذج التحليلي. أي أن مصدر أسئلة الاستمارة يكون من عملية بناء المفاهيم أو المتغيرات "يتم اعداد الأسئلة وفقا للمؤشرات المتولدة من التحليل المفهومي. بصفة أدق، يؤدي كل مؤشر الى طرح سؤال أو اكثر كما يكون كل جزء من وثيقة الاستمارة مطابقا لمفهوم أو متغير من فرضية" (ريمون كيفي، فان كمبنهود لوك، ط4، 2011(

تعريفها :

تعرف الاستمارة على أنها أداة ملاحظة و جمع معطيات، و على نحو أدق " أداة لتنظيم صارم لنص الأسئلة و ترتيبها .(Madeleine Grawitz 1993) "يعرفها أيضا موريس أنجرس على أنها: " ...تقنية مباشرة لطرح الأسئلة على الأفراد و بطريقة موجهة، ذلك ان صيغ الاجابات تحدد مسبقا، هذا ما يسمح بالقيام بالمعالجة الكمية بهدف اكتشاف علاقات رياضية، و اقامة مقارنات كمية"، و هي بمعنى من المعاني أداة اتصال بين الباحث و المبحوث عبر أسئلة منظمة و متسلسلة طبقا لأهداف البحث يتم معالجتها كميا. يجب الاشارة هنا الى أن الأسئلة المراد طرحها على عينة البحث لا يجب أن تكون بأي طريقة كانت. يتميز التحقيق باستخدام الاستمارة، كونه يهدف الى التثبت من فرضيات نظرية و فحص الترابطات التي توحي بها هذه الفرضيات، و بناء عليه، فان البحث باستخدام هذه الأداة تكون بشكل عام معدة و متماسكة أكثر. و بما أن عدد الأشخاص المستجوبين يكون كبيرا عموما (العينة) فان معالجة المعلومات ستكون كمية.

هناك مجموعة من الشروط يجب مراعاتها عند صياغة الأسئلة التي تتضمنها استمارة البحث:

-أسئلة الاستمارة تستقى من مؤشرات مفاهيم أو متغيرات الفرضيات و بهذا يكون محتواها محددا بأهداف الدراسة التي تجد تعبيرا لها مع فرضية أو فرضيات البحث، وان أسئلتها هي ترجمة للمؤشرات التي تم استخلاصها من المفاهيم أو متغيرا ت الفرضية.

-يجب أن تكون الأسئلة بسيطة و واضحة و بعيدة عن التعقيد اللفظي بحيث لا تقبل اللبس أو اساءة الفهم.

-يجب أن تساغ بكيفية تكون اجابتها قاطعة و بسيطة بقدر الامكان كأن تكون الاجابة بنعم أو لا.

-تجنب الأسئلة المحرجة أو تلك التي تمس جوانب حساسة مما يعتبر تدخلا في أمور شخصية

-غالبا ما يراعى عند ترتيب الأسئلة من العام الى الخاص.

يمكن بيان مفهوم الاستمارة المكتوبة من جانبين: مضمون الأسئلة و شكلها:

أ/ مضمون الأسئلة: نعني بها صنف من الأسئلة المختارة المحتمل أن تطرح على أفراد العينة، طبعا عدد الأسئلة و طبيعتها مرهون بما يراد معرفته و اثباته و لكن يمكن تقسيم هذه الأسئلة على كثرتها و تنوعها الى صنفين:

-أسئلة متعلقة بالواقع و هي أسئلة تبدو سهلة في تصميمها و طرحها مثل الأسئلة المتعلقة بالحالة المدنية :

·مثال: ماهي حالتك المدنية: أعزب ☐ متزوج ☐ مطلق ☐ أرمل ☐

ما هو عدد الأطفال في الأسرة: 1 ☐ أكثر من 2 ☐ أكثر من 5 ☐

هذا النوع من الاسئلة يتعلق كما يبدو بالظروف الموضوعية و المعاشة و التي يمكن التأكد من صحة وجودها من مصادر مختلفة و بواسطة وثائق محددة (شهادة الحالة المدنية، عقد زواج(.....

-أسئلة متعلقة بالآراء: و هي أسئلة تستهدف الحصول على الأحكام الشخصية و الآراء و النوايا و المعتقدات و الأسباب التي يعطيها المستجوب لأفعاله و الأوضاع التي يعيشها.

ب/شكل الأسئلة: ان شكل الأسئلة المختارة و المطروحة يمكنها أن تعدل المعارف الموجودة عند أفراد عينة البحث، فالطريقة التي تصاغ بواسطتها أسئلة الاستمارة تبدوا هنا هامة: يجب ان تكون واضحة، دقيقة ذات دلالة في صلتها بأهداف البحث. شكل الأسئلة قد يكون مفتوحا أو مغلقا.

-الأسئلة المفتوحة: يترك للمبحوث نوع من الحرية في تنظيم اجابته كما يشاء سواء من حيث الشكل أو المضمون، مثل: ما نوع العلاقة التي تربطك بزملاء العمل؟ كيف تنظم أوقات فراغك؟ ما رأيك في طريقة العمل؟

تفريغ هذا النوع من الأسئلة غير مريح نوع ما، لأنه يتطلب تحليل للمضمون بالتالي لا يبحث الباحث هنا عن الرقم و لكن عن معطيات كيفية.

-الأسئلة المغلقة: على عكس الشكل الاول، فهنا لا يترك للمبحوث الا امكانية اختيار اجابات محددة بنعم أو لا، موافق، غير موافق.....فهي مطروحة بكيفية يمكن استغلالها فيما بعد بكل سهولة.

- هناك نوع آخر الى جانب هاذين الشكلين من الأسئلة، و هي أسئلة ذات اجابات جاهزة مثل:

- ما هي الأسباب التي دفعتك لاختيار التخصص؟

1- التخصص يتناسب واهتماماتك الثقافية

2- التخصص يستغرق وقت قصير

3- الاختيار كان عن طريق تقليد عائلي

و هذا النوع من الأسئلة يجد فيه المبحوث نفسه مقيد.

المراجع التي يمكن للطلبة الرجوع اليها لإثراء معلوماتهم:

1. عياد أحمد، مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

2. شروخ صلاح الدين، منهجية البحث العلمي، دار العلوم للنشر، عنابة، 2003.

3. أنجرس موريس، منهجية البحث في العلوم الانسانية، (ترجمة) بوزيد صحراوي و آخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر،2004.

4. الخولي أسامة ، مناهج البحث العلمي، وحدة أم تنوع، مجلة علم الفكر، م2،ع1، وزارة الاعلام الكويتية، 1989.

5. د. عمار بوحوش، د. محمد محمود الذنيبات، مناهج البحث العلمي و طرق اعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999.

6. سبعون سعيد، جرادي حفصة، الدليل المنهجي لإعداد المذكرات و الرسائل الجامعية في علم الاجتماع، دار القصبة للنشر، الجزائر. 2012.

7. Campenhoudt Luc Van, Quivy Raymond, Manuel de recherche en sciences sociales, 4ème édition, DUNOD, paris, 2011.